رحلة الى ايران

(٤)

١٣ طاق بستان

زرتُ هذا الاثر مرتين الاولى في الخامس عشر من كانون الثاني (يناير) والثانية في الثامن والعشرين منهُ. وهو في شمالي كرمنشاه ببعد ٧ اميال بسكة السيارات او ٣ اميال بغيرها، وهو واقع في سفح جبل بهستون او بيستون في وادي كوه پارو وهو عين الوادي الذي فيهِ كرمانشاه. ومما هو حري بالتنبيه ان العرب اطلقوا لفظة بهستون او بيستون على كلٍّ من الاثرين. هذا وهو من عهد الساسانيين واثر داريوس من عهد السلالة الكيانية الا ان الايرانيين الحاليين يعرفون الاثر الساساني « بطاق بستان » واثر داريوس « بيستون »

وقد ذكر ياقوت هذا الاثر في موضعين من معجم البلدان في مادة بهستون وشبداز. وقال في هذه المادة الاخيرة شبداز ويقال شبديز — منزل بين حلوان وقرميسين في لحف جبل بيستون سمي باسم فرس كان لكسرى ... وصورة شبديز على فرسخ من مدينة قرميسين وهو رجل على فرس من حجر عليهِ درع لا يخرم كأنهُ من الحديد بين زردهُ والمسامير المسمرة في الزرد لا شك من نظر اليهِ يظن انهُ متحرك وهذه الصورة صورة ابروز على فرسهِ شبديز وليس في الارض صورة تشبهها. وفي الطاق الذي فيهِ هذه الصورة عدة صور من رجال ونساء ورجالة وفرسان وبين يديهِ رجل في زي فاعل على راسهِ قلنسوة وهو مشدود الوسط يدهِ بيل كأنهُ يحفر بهِ الارض والماء يخرج من تحت رجليهِ ..... ومن عجائب قرميسين وهي احدى عجائب الدنيا صورة شبديز وهي في قرية يقال لها خاتان ... ثم صور شيرين جارية ابروز ايضاً قريبة من شبديز وصور نفسهُ ايضاً راكباً فرساً لبيقاً. اه

لنرجعنّ الآن الى وصف ما رايتهُ من المشاهد في هذا الاثر التاريخي النفيس

في بقعةٍ انيقةٍ من لحف الجبل حيث تجري المياه النميرة ويسمع لها خرير ينقر اوتار القلوب ويزيد جمال الطبيعة حسناً وبهاء اشجار الفواكه. هناك في

ذلك الانفراد ترى ثلاثة مشاهد تاريخية نقرت على الصخر الاصم وصوِّرت على الحجر الابكم. يمثل المشهد الاول ملكين يتعاهدان وتحت ارجلهما عدو صريع على الارض ووراءهما رجل آخر . ويظن ان في هذه الصورة الملك اردشير يقلد ابنهُ شابور سلطة الملك ووراءهما زرادشت وعلى رأسهِ الشمس . والمشهد الثاني طاق منحوت في الجبل وفيهِ صورتان تمثلان الملك شابور الثاني (٣٧٩ — ٣٠٩ م) وابنهُ شابور الثالث (٣٨٨ — ٣٨٣ م) وبجانبي الطاق كتابتان بالبهلوية . واما المشهد الثالث فهو من امهات الآثار الخالدات يفوقها عظمةً وجلالاً ! ابهةً واتساعاً ! وهو طرفة من طرف الدهور وتحفة من تحف العصور . واريد بهِ ذلك الطاق المحفور في الجبل علوهُ ثلاثون قدماً وعمقهُ اثنان وعشرون قدماً. في جانبي باب الطاق نقوش ورد يعلوها من كل جانب ملاك مجنح . واحدى يدي كل من الملاكين مبسوطة نحو الآخر في ملتقى اجتماع الطاق وبها اكليل وفي وسط القمة صورة الشمس . وفي هذه النقوش تظهر صحة الصناعة اليونانية وربما كانت احدث عهداً من تصاوير داخل الطاق

واذا دخلت الطاق ترى صدرهُ متوماً قسمين في القسم الاسفل صورة شبديز فرس كسرى وعليها راكب كسرى ابروز وينطبق عليهما وصف يافوت في معجم البلدان كما مرَّ بك(١) .وفي القسم الاعلى ثلاثة اشخاص اثنان منهما كسرى ابروز وحظيتهُ شيرين آية الجمال ولم اعرف الشخص الثالث(٢) ولمَّا نظرت هذا الاثر تذكرت قول الشاعر :

وهم نقروا شبديز في الصخر عبرة ... وراكبهُ بروز كالبدر طالعُ
عليهِ بهاء الملك والوفد حاكف ... يخال بهِ فجر من الافق ساطعُ
تلاحظهُ شيرين واللحظ فاتن ... وتعطو بكف حسنها الاشاجعُ
يدوم على كرّ الجديدين شخصهُ ... ويلفى قويم الجسم واللون ناصعُ

وفي جانب الطاق الايمن مشهد قنص الغزال ويذهب الموسيو دي مورغان

(١) مما يؤسف لهُ ان احدى رجلي الفرس مبتورة عند الساق ويقال ان احد الاوربيين كسرها ونقلها الى اوربا (٢) في وصف هذه الصور الثلاثة يقول دي سايكس في كتابه تاريخ فارس ان الملك كسرى ابروز يأخذ اكليلين من معلقين . اما لنورمان فيؤيد رواية السكاك ان احدى تلك الصور صورة شيرين

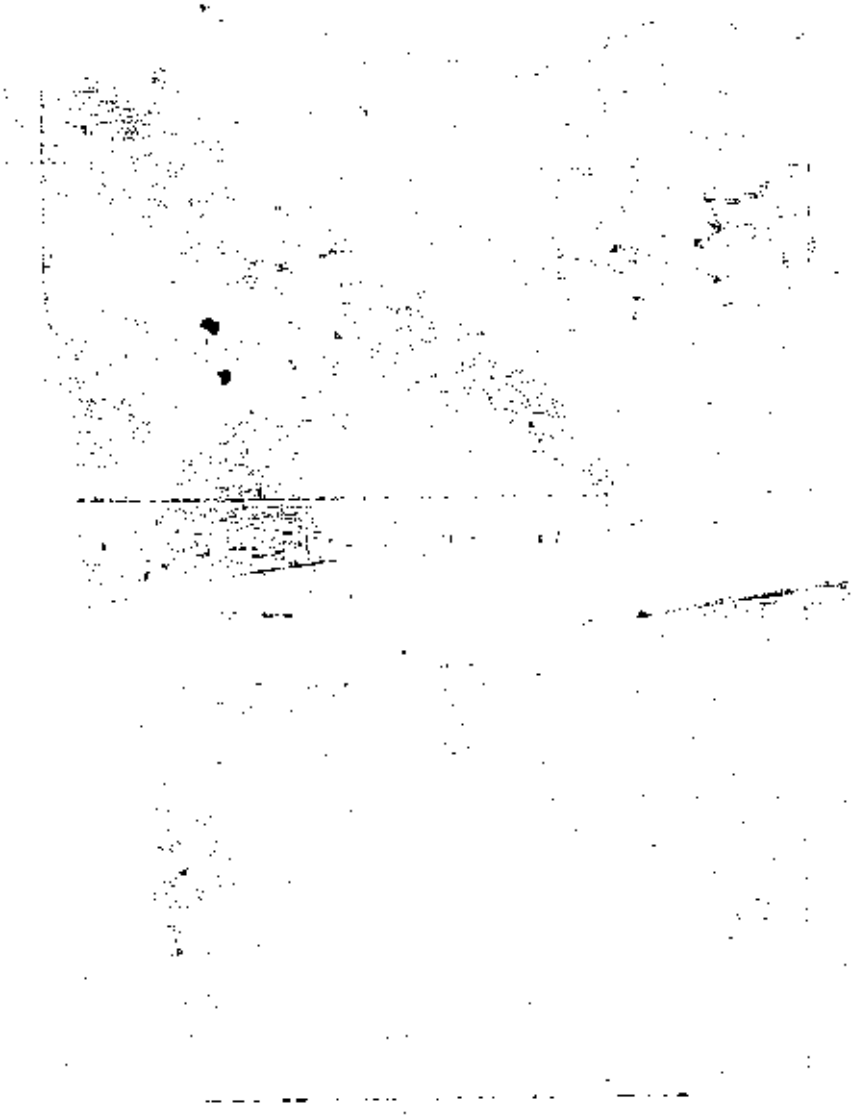

منظر طاق بستان القصر الحديث والمشاهد الثلاثة التاريخية

الاثر الساساني في طاق بستان وربما يمثل الملك ارداشير يقلد ابنهُ شابور الملك وفيها صورة زرادشت

مقتطف نوفمبر ١٩٢١

امام الصفحة ٥٢٥

مدخل المشهد الثالث من الأثر الساساني وهو باب الطاق الكبير

الطرق الايمن من الطاق الكبير يمثل مشهد صيد الغزال

مقتطف نوفمبر ١٩٢١

امام الصفحة ٤٢٧

ان حفر هذه اللوحة لم يتمهُ النحاتون وما صورة الاشخاص الاَّ مخططة تخطيطاً ولم ينجز تحتها وصقلها . في وسط اللوحة صورة ملك الملوك وعلى رأسهِ مظلة يحملها احد الخدم. وعلى يساره بطانتهُ وعن يمينهِ دكة وعليها حرم الملك جالسات يتفرجن على ما يجري هناك. ثم قطيع من الغزلان يطاردها الصيادون بالنبال وفي مقدمة الفرسان رجل تفوق منزلتهُ غيرهُ وربما كان ولي العهد

وفي الجدار الايسر يمثل صيد الخنازير في المستنقعات وفي الوسط صورة الملك في زورق وفيهِ قذافون وقد رمى الملك بسهامهِ خنزيرين فاردهما . وامام الملك زورق آخر فيهِ رجل منزلتهُ دون الملك يراقب الصيد وبيده قوس وسهم وامام كل من هذين الزورقين زورق آخر فيهما رجال العزف وفي علىا المشهد قطيع من الخنازير هاربة وفي يسراهُ واسفلهُ تصاوير فيلة عليها راكبون . وهنا وهناك صور القصب الذي يكثر في المستنقعات حيث تصطاد الخنازير

وفي الزاوية العليا من جانب الطاق الايمن صورة احدث عهد من كل تلك الآثار التي سبق وصفها وهي لا تتجاوز القرن التاسع عشر ويظهر ان ملوك ايران المتأخرين ارادوا ان ينحوا منحى اجدادهم الساسانيين فنقشوا هناك صورة فتح علي شاه (٣) جالساً على الكرسي متقلداً سيفهُ وامامهُ ابنهُ عماد الدولة وخلفهُ حاجبهُ ويحف بالصورة كتابة باللغة الفارسية الحديثة

ويظهر ان خطورة هذا المكان كانت في العصور المتسلخة اعظم مما هي عليهِ اليوم وقد وُجد هناك بعض الآثار التي تدل على ان مدينة عامرة كانت فيهِ . وقد حدثني بعض العارفين من الاهلين ان على مقربة من النقوش المذكورة كان

(٣) فتح علي شاه من ملوك السلالة القاجارية المالكة اليوم في ايران تبوأ عرش بلاد فارس سنة ١٢١١ هجرية (١٧٩٧ م) خلفاً لشاه القتيل آغا محمد خان وخرج عليه غير واحد من طلاب العرش فحاربهم جميعاً وانتصر عليهم . وكان معاصراً لنابوليون بونابرت وجرت في ايامه حادثات خطيرة في تاريخ ايران وعلاقاتها السياسية مع الدول الاوربية لاسيما بريطانية وفرنسة وروسية والافغان . ووفدت الوفود عليه . ومن الحروب التي نشبت في ايران في ايامه الحرب الروسية الايرانية . ومات سنة ١٨٣٤ م وله من السر ٨٦ سنة ودامت ايام سلطنته ٣٧ سنة . وقد اشتهر بحبه للنساء وكثرة النسل وحب الزينة وكان جميلاً . ووصفه السائح الانكليزي السر روبرت كر بورتر الذي سياح في ايران في ١٨٢٠ — ١٨١٨ واجاد كل الاجادة في وصف ملابسه وجواهره . وربما رجعنا يوماً الى هذه الصحيفة من تاريخ ايران

عدد من التماثيل خطّطها الناس . وقد شاهدت اثناء رحلتي هذه بقايا تمثال واقف على جدار خزان الماء الصناعي والتمثال مكسور الراس ومشوّه الجسم شوهتهُ صروف الدهر واتلفهُ رصاص الصيادين الذين يتخذون النقوش هناك هدفاً للرماية

وفي اثر طاق بستان اسماء كثيرين من السياح والعلماء محفورة في الصخر واليك شيئاً منها A. Hector 1847 و J. De Morgan 1891 و J. Malcolm و H. C. Rawlinson

١٤ بيستون — بهستون — باغستان وباكستان(٤)

في اليوم السابع من شهر شباط (فبراير) من السنة الحالية زرتُ اثر بيستون وهو على ٢٢ ميلاً شرقي كرمانشاه في طريق همذان . فشاهدتُ في طريق جبل كوه بارو وقمته الجرداء الشاهقة المنفصلة الواحدة عن الاخرى وكلها ثلوج وفي قمته الاخيرة التي يبلغ علوها نحو ٤٠٠٠ قدم وبقرب منتهى النهرين آبي دينور(٥) وكس آب يجد المسافر وادياً خصيباً وهناك بقرب ينبوع ماء ينبجس من الجبل . اراد داريوس (في القرن الرابع قبل الميلاد) ان يخلد ذكرهُ فحفر في صخر الجبل اثره المثلث اللغات حيال شروق الشمس . ولقد اصاب المرمى باتخاذه هذا الموقع النزه الذي هو ممر القوافل في الجبل وطريق الملوك والقوّاد والفاتحين منذ اعصر متوغلة في القدم وربما قبل عصر التاريخ

وقد ذكر هذا الاثر غير واحد من المؤرخين والسياح ولكنهم خلطوا في منشاه والصور التي يمثلها . واقدم من ذكر ذلك ديودورس الصقلي في القرن الاول للميلاد ونسبهُ الى الملكة الكلدانية سميراميس . ثم ذكرهُ كاردان Gardanne في القرن التاسع وقال ان الصورة تمثل المسيح ورسلهُ الاثني عشر . اما السر روبرت كربورتر (في اوائل القرن التاسع عشر) فذهب الى انها رمز الى حرب اسرائيل

(٤) هذه تطورات اسم ذلك الجبل ويظهر ان اليونان دعوه باكستان والعرب بهستون وبيستون والايرانيو اليوم بيستون (٥) نسبة الى مدينة دينور المشهورة في التاريخ والتي سبقت عهد كرمنشاه او قرميسين . ولم تزل آثار تلك المدينة في مزرع من املاك « اميركل » قرب كرمنشاه ويعثر في الارض على آثار ومسكوكات وفيها طريق يعرف الى اليوم بطريق الارمن

ولم يكن جغرافيو العرب أكثر دقةً في وصف هذا الاثر الخالد . فهذا ابن حوقل يزعم ان التصوير حفر في دار مدرسة وفيه صورة المعلم والتلامذة . وبيد المعلم سوط للضرب . وهنا وهناك مراجل للطباخة

وحقيقة التصوير انهُ يمثل الملك داريوس واثنين من اتباعهِ وراءهُ وامامهُ تسعة من امراء الكور(٦) الذين كانوا تحت سيطرتهِ فشقوا عصا الطاعة فأتى بهم امامهُ موثوقين بحبل وفي علياء الصورة الاله « اهورامزدا » ملتحياً يحيط بهِ دائرة نور ينبعث منها اشعة مضيئة

وتحت هذا اللوح التاريخي النائيء المنقور في قنة الجبل التي تعلو ٣٨٠٧ اقدام عن السهل ترى الكتابة الاثرية المثلثة اللغات الفارسية والاشكوزية والبابلية . وملخص الكتابة حسبما فكها الاثري رولنصون(٧) الشهير هو كما يأتي :

ألقاب الملك داريوس ووصف اتساع مملكتهِ وحادثة قتل بردیا او سمرديس بيد قنبوسيا وعصيان المنتحل اسم سمرديس وهو كوماتا الساحر في غياب قنبوسيا في مصر وموت الطامح الى العرش بين يدي داريوس. وذكر الثورات التي قامت في البلاد في وجه داريوس بجذافيرها وتنتهي الكتابة بتحليف ملوك الايام المقبلة ان يحترزوا من الاساكين وبالطلب من القارىء ان يهتم بحفظ هذا الاثر واستجلاب اللعنة وغضب الاله على من يتلفهُ

---

(٦) واسماؤهم من اليمين الى اليسار : ١ : اترينا المطالب بالعرش الشوشي الاول ٢ : نيدنتوبل المطالب بالعرش البابلي الاول ٣ : فراورتيس المطالب بالعرش الماذي ٤ : مارتيا المطالب بالعرش الشوشي الثاني ٥ : سترتخما المطالب بالعرش السغرتي ٦ : ڤهيازداتا المنتحل اسم سمرديس الثاني ٧ : آراخا المطالب بالعرش البابلي الثاني ٨ : فرادا المطالب بالعرش المروي ٩ : سكنخا الزعيم الاشكوزي ويظهر ان صورته اضيفت بعد انشاء الاثر

(٧) السر هنري رولنصون كان قنصلاً انكليزياً في بغداد . وفي سنة ١٨٣٥ رقي تلك القنة الشاهقة لاول مرة وفي السنتين التاليتين داوم على الرقي وتمكن من نقل العمود الاول من الكتابة الفارسية وفي سنه ١٨٤٤ نقل كتابة ونصوص سائر الاعمدة وايضاً الترجمة الاشكوزية وفي سنة ١٨٤٧ توصل بمساعدة احد الوطنيين الى السر البابلي . وهكذا افنت همته القضاء الى نشر هذه النصوص مدققة تدقيقاً تاماً . وقد بحث هذا العلامة عن اثر بهستون وكتابته الاثرية بحثاً مسهباً ونشر فصولاً رائقة في هذا الموضوع في المجلد العاشر من جريدة الجمعية الآسيوية الملكية . وعلو الكتابة عن سطح السهل مأخوذ من تدقيق السر رولنصون المذكور

ويظهر من المكان المهيأ في الجبل ان منشىء ذلك الاثر كان يريد ان ينقر كتابات كثيرة ويسرد حوادث خطيرة من تاريخ بلاد فارس فاهمل العمل قبل انجازهِ فلو تمَّ لكانت مساحة الكتابة ٢٥٠٠ متر مربع ولكشفت مسائل مجهولة في تاريخ هذه الدولة

وعلى مقربة من هذا المكان وفي موضع منخفض من الجبل شاهدتُ اثراً احدث نشأةً من الاول يرتقي الى عهد البرثيين فقط ويظهر من بقاياهُ على ما اثبتهُ الاثريون انهُ من عهد الملك كوتارسز (جودوز) Gotarséze . ولكن عوامل الدهر ومؤثرات الطبيعة جارت عليهِ فشوَّهتهُ ولم تتصتهُ يد الانسان بل ان الايرانيين المتأخرين حفروا في وسطهِ كتابة باللغة الفارسية الحديثة وهي نص وقفية قرية بيستون لاعمال البرّ

ويذهب المؤرخون الى ان في السهل الممتدّ امام الجبل على عدوة النهر التي كانت مدينة عظيمة وقد يعثر هناك على بعض الآثار من ابنية قديمة وغيرها مما يؤيد مرويات المؤرخين عن المدينة

بعد ان درست هذا الاثر رجعت الى الطبيعة وسرّني موقفي فوق الجبل الشامخ المطلّ على الوادي الخصب واسمعتني المياه المنحدرة خريرها واطربتني بانشودتها الطبيعية. وان كانت اشجار الحقول جرداء لكنها لم تكن حزينة فوشاح الثلوج كان قد زينها وبارقة الفرج كانت تحيي آمالها والربيع كان على قاب قوسين منها. ولكنَّ رؤية جماعات المهاجرين من الكلدان والآثوريين وقوافل النساء والاطفال التي كانت تمر من ذلك الطريق تريد لها ملجأ انستني جمال الطبيعة. وبعثت في مخيلتي ذكرى الفاتحين من الآثوريين الذين عبروا من هناك بتجدهم وعظمتهم وجيوشهم الجرّارة. واستغرقت في المقابلة بين ماضي هذا الشعب وحاضره. فقلت هكذا تنقرض الامم وتزول الشعوب

اجهدني الفحص والدرس واتعبني التخيل والتفكر وعضني البرد والجوع فنزلت الى فندق هناك واسترجعتُ شيئاً من قواي ثم عدت ادراجي الى كرمانشاه

١٥ دواعي العود الى بغداد

دامت اقامتي في كرمانشاه الى اليوم الخامس عشر من شهر شباط (فبراير)

وكنت اعلل النفس كل يوم بزوال الثلوج الطبيعية وانقشاع الغيوم المتلبدة في جو سياسة ايران لاكمل رحلتي الى طهران ومن هناك اهبط الى شيراز فخليج فارس . فلا الثلوج ذابت ولا الغيوم السياسية تبددت . فما كنت اسمع كل يوم الا ماكان يثبط عزيمتي فقرّ رأيي اخيراً ان ارجع الى بغداد واؤجل ذلك السفر المفيد الى فرصة اخرى . فتركتُ كرمانشاه في ظهر اليوم الخامس عشر من شباط وقفلت راجعاً الى بغداد . وحدث بعد ذلك في طهران وكرمانشاه ما حدث من حوادث السياسة الخطيرة . وان رجعت يوماً الى عاصمة هذه البلاد سأوافي القراء بوصفها

بغداد يوسف رزق الله غنيمة

زيادة سكان الارض

ووسائل معاشهم

(٢)

اذا بحثنا في احوال بلدان الارض من حيث سكانها وقدرتها على اخراج المؤونة اللازمة لهم وجدنا ما يأتي :

سكان الصين واقفون عند حدّ فواليدهم كثيرة ولكن وفياتهم كثيرة ايضاً. والبلاد تستطيع اطعام اهلها اذا روعيت فيها الطرق الزراعية حق المراعاة

ويقال عن بلدان شمال اسيا واواسطها والهند انها تستطيع تقديم الطعام اللازم لاهلها ولو زادوا زيادة صغيرة

واستراليا ونيوزيلندا يزيد سكانهما على نسبة كبيرة لا تلائم مقدرتهما الزراعية في المستقبل اي انهما تستطيعان ان تكفيا سكانهما الى مدة قصيرة فقط

اما اوربا فقد بلغ الزحام فيها حدهُ وجاوزهُ وشر بلادها من هذا القبيل انكلترا ويليها بلدان شمال اوربا . ولكن اذا بذلت اوربا جهداً عظيماً كافياً ومتواصلاً فانها تستطيع ان تكفي سكانها الحاليين بصعوبة ومشقة

واما افريقيا واميركا الجنوبية فان اراضيهما الزراعية تكفي لتموين عدد كثير من الخلق. نعم ان جزءاً كبيراً من ارضها داخل في المنطقة الحارة ولم يظفر الرجل